العنوان:	الصراع المذهبي بين المالكية و الظاهرية في الأندلس و موقف ملوك الطوائف حياله " ابن حزم الظاهري نموذجا "
المصدر:	المجلة الليبية العالمية
الناشر:	جامعة بنغازي - كلية التربية بالمرج
المؤلف الرئيسي:	عبدالخالق، عادل عبدالعزيز غيث
المجلد/العدد:	ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	مارس
الصفحات:	1 - 23
DOI:	10.37376/1570-000-002-008
رقم MD:	762728
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	المذهب الظاهري ، الفقهاء المسلمون ، إبن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ، ت 456 هـ ، التراجم ، المناظرات الفقهية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/762728

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

عبدالخالق، عادل عبدالعزيز غيث. (2015). الصراع المذهبي بين المالكية و الظاهرية في الأندلس و موقف ملوك الطوائف حياله " ابن حزم الظاهري نموذجا ".المجلة الليبية العالمية، ع2، 1 - 23. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/762728

إسلوب MLA

عبدالخالق، عادل عبدالعزيز غيث. "الصراع المذهبي بين المالكية و الظاهرية في الأندلس و موقف ملوك الطوائف حياله " ابن حزم الظاهري نموذجا "."المجلة الليبية العالميةع2 (2015): 1 - 23. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/762728

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثاني – مارس 2015

الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حِياله

(ابن حزم الظاهري أنموذجاً)

د. عادل عبدالعزيز غيث عبدالخالق.

(عضو هيأة التدريس بقسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم المرج ـ وباحث في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – جامعة بنغازي – ليبيا)

الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حِياله

العدد الثاني – مارس 2015

المقدمة

كانت في الأندلس مذاهب سُنيَّة أخرى غير المذهب المالكي المذهب الرسمي للبلاد، أشارت إليها المصادر الأندلسية وذكرت رجالها ومنتسبيها كمذهب أبي حنيفة، ومذهب الأوزاعي الذي استقر في الأندلس قبل مجيء ودخول المذهب المالكي للأندلس، وظل وجوده مستمراً هناك حتى زحزحه فقهاء المالكية دون عناء يذكر،ومذهب الإمام الشافعي، ورابع المذاهب السنية هو مذهب ابن حزم القرطبي المعروف "بالمذهب الظاهري" الشهير بتصانيفه العديدة وآرائه المتميزة والفريدة، والتي تناقض ثوابت مهمة في الفقه المالكي خاصة مايتعلق بالقياس والمصالح المرسلة؛ وهذه الثوابت جاء المذهب الظاهري الوافد من المشرق لنقضها والتشنيع عليها، الأمر الذي قوبل بالمثل من قِبل فقهاء المالكية الذين لم يدخروا جهدا في التحذير الشديد من الظاهرية وأتباعها، من خلال كتب الردود والمناظرات العلمية بين يدي الأمراء والعامة، مستغلين في ذلك مايتمتع به المذهب المالكي من حضوة لدى العامة والسلطة الحاكمة ذلك الوقت؛ والمتمثلة في ملوك الطوائف، وقد نجح فقهاء المالكية في كبح جماح الظاهرية والتشنيع عليهم لدى العامة والحكام، فاحرقت كتبهم، وأوذي منتسبيها، وعلى رأسهم واضع أسس ومعالم الظاهرية في الأندلس ابن حزم الظاهري.

وتكمن أهمية هذا الموضوع ألا وهو (الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله - ابن حزم أنموذجاً) كون أن أكثر من كَتَبَ حوله إما متعصب أو ناقد متحامل، وجاء هذا البحث محاولا بيان ماللطرفين وما عليهما من وجهة تاريخية موضوعية.

ولعل من ضمن أسباب اختيار هكذا موضوع كورقة بحثية هو أنه على الرغم من المواجهة الشديدة بين المالكية والظاهرية وماتبعها من إقصا وتشريد عن الأوطان لأحد الطرفين، إلا أن ذلك لم يكن عائقا أمام التصنيف والتأليف والتدريس، لاسيما من لدن أتباع المذهب الظاهري والتي مازالت آثارها بادية جلية إلى يومنا هذا.

أما عن الدراسات السابقة عن موضوع البحث فهناك دراسات كثيرة عن شخصية الإمام ابن حزم تناولته من جوانب مختلفة كون ابن حزم من العلماء الموسوعيين الذين طرقوا جل أنواع العلوم بالبحث والتأليف فجاءت الدراسات عليه شبه وافية، ومحاولتي في هذا البحث هو من طرق جزئية من كليات كتبت حول الموضوع ألا وهو الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية وموقف الطوائف من هذا الصراع واخترت ابن حزم رحمه الله أنموذجاً كون ابن حزم طرف رئيس ومؤثر في هذا الصراع والمواجهة بين الطرفين محاولاً بيان الآثار المترتبة عليه على الأندلس خاصة والعالم الإسلامي على المدى الطويل عامة.

هذا وقد قسم البحث إلى تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة؛ حيث تناول التمهيد ترجمة حياة الإمام ابن حزم ومعالم وأسس المذهب الظاهري، وجاء المبحث الأول للحديث عن ابن حزم وتحوله إلى المذهب الظاهري، والمبحث الثاني تحدث عن طلبه للعلم وشيوخه، وتناول المبحث الثالث مؤلفاته في

الفقه الظاهري وتلاميذه، وتطرق المبحث الرابع للحديث عن مناظراته الفقهية مع خصومه المالكية والآثار المترتبة عليها، وأفرد المبحث الخامس للحديث عن منهج ابن حزم وعقيدته ومن ثم وفاته رحمه الله ،ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث.

فما كان من خطإ وتقصير وخلل وهو كثير فهو مني وهذه طبيعة نفسي ولا أزكّيها، وماكان صواباً وأظنه يسيراً فالفضل لله أولاً وآخراً وهو وليُّ التوفيق ...

- **التمهيد:**

يُعد منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عصر ازدهار وتطور للعلوم في الأندلس سواء النقلية أم العقلية، وذلك ناتج لعصور التكوين السابقة لهذا العصر، فالرحلات العلمية للمشرق، ولقاء العلماء ووفودهم لبلاد الأندلس للتدريس والتصنيف؛ آتى أُكله وثمراته في هذا العصر الذهبي من عصور الأندلس، ألا وهو عصر الطوائف، رغم مايتخلله من فتنة وتمزق وتفرق على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ويالها من مفارقة في ظل هذه الظروف القاسية التي تعيشها البلاد إلا أن ذلك لم يقف حاجزاً أمام التطور العلمي والنبوغ الفكري والحضاري لبلاد الأندلس وقتذاك، فكان للدراسات الفقهية نصيبها من هذا الازدهار خاصة مايتعلق بالمذهب المالكي فكثرت الشُروحات عليه، ودونت المؤلفات الفقهية فيه، والمتعلقة بالأحكام والأصول والفروع للفقه المالكي، ولكن طرأ مذهب مشرقي وافد جديد على الأندلس لم يكن له ظهور من قبل وظهر له أنصاره وأتباعه؟ الأمر الذي كان مستهجناً عند فقهاء المالكية! خاصة عندما ظهرت ردود من الظاهرية على بعض المسائل الفقهية المالكية وقالوا بإبطالها، فكانت المواجهة الكلامية بين الطرفين خاصة وأن الطرف الأول وهم الظاهرية يتزعمهم رجل أوتي علماً وجدلاً وقوة حجة وبيان، كيف لا وهو العالم الموسوعي ابن حزم الظاهري، وعلى الرغم مما يتمتع به المذهب المالكي من سيادة لدى الطبقة الحاكمة وطبقة العامة إلا أن ابن حزم استطاع إفحامهم ورد تعصبهم للمذهب دون الرجوع للأدلة والبراهين الشرعية، فما كان من متعصبة فقهاء المالكية أن شكوه للحكام والأمراء وحرضوا عليه العامة فأوذي وأحرقت كتبه، وهُجِر من ديارِه، ولكن هذا الصراع والمواجهة لم ينتهي بنفي ابن حزم وإحراق كتبه، إذ أننا نجد وبعد قرن من الزمان أن سلاطين الموحدين بعد ضم الأندلس لسلطانهم ببلاد المغرب يُقرون المذهب الظاهري المذهب الرسمي لدولتهم، ولم يقف الأمر عند ذلك بل يأمرون بإحراق الكتب المدونة في الفقه المالكي في الأندلس! لذا كان لزاماً علينا اختيار ابن حزم كأنموذجاً لهذا النزاع والصراع بين الظاهرية والمالكية.

- **ترجمة حياة ابن حزم الظاهري (384–456هـ/994–1063م):**

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل،[1] ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي، كان جده يزيد مولى للأمير يزيد بن أبي سفيان الأموي، فهو قرشي بالولاء فارس الجنس، وجده خلف بن معدان هو الذي دخل إلى الأندلس مع نفر من أصحاب عبدالرحمن الداخل.[2]

وأما عن مولده؛ فقد ذكر ابن حزم نفسه تاريخ ومكان ميلاده في رسالة بعث بها إلى تلميذه القاضي صاعد الأندلسي نقلها صاحب معجم الأدباء كتب له فيها: ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منيه المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم.[3]

نشأ ابن حزم منذ ولادته في مدينة قرطبة العريقة في عز وجاه، وذلك بسبب المكانة المرموقة التي تتمتع بها أسرته في المجتمع الأندلسي، فوالده من وزراء المنصور بن أبي عامر، ومن وجوه قرطبة وأعيانها، ومن أهل العلم والأدب والبلاغة فيها، اشتهر بثرائه وغناه حتى أنه يملك أحسن الدور والقصور التي تتوسط بساتين قرطبة، فنشأ ابن حزم في هذه البيئة تكتنفه مظاهر الترف والعيش المنعم وتأسره مغريات الجمال وسط عائلة تنتمي إلى طبقة أولى السلطة والجاه والنفوذ، فاهتم به والده منذ صباه وعهد به إلى النساء في قصره ليقمن بتربيته وتعليمه، فكنَّ أول من علمنه مبادئ العلوم والقرآن والشعر والأدب،[4] ثم بعد ذلك أصطحبه والده إلى حلق الحديث، وكان أول سماعه الحديث قبل سنة الأربعمائة من الهجرة كما يقول تلميذه الحميدي.[5]

عاش ابن حزم أول عمره حياة صافية نقية لا يشوبها كدر وسط بيوت الأمراء والوزراء، ولكن ذلك العيش الهنئ وتلك السعادة الهادئة لم تستمر له ولأسرته المترفة، فسرعان ما تبدلت الأحوال وتغيرت الأمور عقب انتهاء حكم الأسرة العامرية سنة (399 هـ/1008م) وبداية عصر الفتنة، وما تلاه من استيلاء البربر على قرطبة وتنكيلهم بأهلها وذلك سنة (404 هـ/1013م) ما اضطر ابن حزم وأسرته الخروج عن قرطبة متنقلاً من مدينة لأخرى، وفي ذلك يقول ابن حزم: "وضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول

(1) بعض المؤرخين يرجع أصله إلى أنه من أصل أسباني كابن حيان فيما ينقله عنه ياقوت الحموي في معجمه، وابن سعيد في كتابه المغرب، تبعهم في ذلك المستشرق دوزي فيما ينقله عنه آنخل بالنثيا، في حين رد هذا الرأي مؤرخون آخرون فقالوا أن أصوله فارسية كصاعد تلميذ ابن حزم، والمقري، والذهبي ، وأيد هذا الرأي المستشرق آسين بلاسيوس فيما ينقله عنه كذلك بالنثيا، وكثير من المؤرخين المعاصرين وهو ما اعتمدته في هذا البحث = انظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت: معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،1993 4، ص1656؛ ،؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، 1، ص ص45،44؛ آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1955م ص213؛ أبو القاسم، صاعد بن أحمد الأندلسي: طبقات الأمم ،تحقيق حسيت مؤنس ،دار المعارف ،القاهره ،1998 ،ص98،97 ؛ المقرى، شهاب الدين أحمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، 2ص79؛ الذهبي، شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م ص373.

(2) محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره - آرائه وفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص20.

(3) الحموي: المصدر السابق، 4، ص1656.

(4) ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضمن مجموع رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1987م، 1، ص166.

(5) الحميدي: أبو عبد الله محمد بن فتوح: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص 449.

المحرم عام أربع وأربعمائة"،[6] ثم عاد إلى قرطبة سنة (409هـ/1018م) وتقلد مناصب الوزارة لمن تبقى من خلفاء بني أمية، وفي ذلك يقول ياقوت الحموي: "كان الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر لدين الله، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن الناصر".[7]

لم تدم وزارة ابن حزم للخليفة المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية طويلاً إذا سرعان ما تركها وأقبل على طلب العلم، وكان ذلك آخر عهد له بالسياسة والوزارة.[8]

- المذهب الظاهري - أسسه ومعالمه ورجاله - في الأندلس:

أصل المذهب الظاهري وجذوره ترجع إلى مؤسسه داود بن علي الأصبهاني[9] فهو أول من قام بنفي القياس، ومدرسته تقترب من مدرسة أهل الحديث في العديد من القواعد والأصول من حيث الاهتمام بالرواة والأسانيد، وقد انتشر مذهبه بالأندلس عن طريق تلميذه عبدالله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي المتوفي سنة 272هـ/885م[10] الذي قام بنسخ كتب أبي داود كلها وأدخلها الأندلس، ثم جاء بعده أيوب بن سليمان بن حكم القرطبي المتوفي سنة 326 هـ/937م، وحسن بن سعيد بن إدريس القرطبي، المتوفي سنة 332 هـ/943م، وغيرهم ممن كان يذهب الحجة والنظر وترك التقليد وبعضهم كان له ميل إلى مذهب الشافعي، وجلّهم من تلاميذ الإمام بقي بن مخلد القرطبي أو تلاميذ تلاميذه، وكانوا يمثلون تياراً علمياً بارزاً في الأندلس تمثل في نبذ التقليد والتعصب للمذهب، ثم جاء بعد ذلك الفقيه أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبدالله البلوطي المتوفي سنة 355هـ/966م والذي يعد من أشد المدافعين عن المذهب الظاهري، تولى قضاء قرطبة حتى وفاته، وكان ينكر تقليد المالكيين صراحة، ويدعو إلى الاجتهاد في دراسة الفقه وأصوله بكل حرية دون التقيد بمذهب معيّن، عالماً باختلاف العلماء في مسائل الفقه، وكانت له منزلة ومكانة عظيمة عند أهل الأندلس عامة وعاصمة الخلافة قرطبة خاصة،[11] قال عنه ابن حزم: "كان داودي المذهب، قوياً على الانتصار له"،[12] ثم جاء بعد الفقيه منذر البلوطي الفقيه أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مُفْلِت القرطبي من العلماء الزهاد، توفى سنة 426 هـ/ 1034م، كان يميل أيضاً إلى القول بالظاهر

---

(6) ابن حزم: المصدر السابق، ص170.
(7) معجم الأدباء، ج 4، ص1656.
(8) محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره، ص37.
(9) هو أبو سليمان داود بن علي البغدادي الأصبهاني الإمام الحافظ الفقيه، رئيس أهل الظاهر، كان زاهداً متقللاً كثير الورع، ولد بالكوفة سنة 201 هـ، وسكن بغداد وانتهت إليه رئاسة العلم فيها، ويقوم مذهبه على الأخذ بظاهر الكتاب والسنة وإبطال التأويل والرأي والقياس، وهو أول من جهر بالقول بالظاهر، ومن مؤلفاته: كتاب الدعوى والبينات، وكتاب الأصول، وكتاب إبطال القياس، توفى سنة 270هـ = الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2001، ج 8، ص369؛ الذهبي، السير، ج 13، ص97؛ محمود علي حمايه: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1983م، ص158،159.
(10) كان مالكيا أول أمره، ثم رحل للمشرق ودخل بغداد والتقى بداود الأصبهاني واخذ عنه القول بالظاهر، ثم رجع إلى الأندلس واجتهد في نشر المذهب الظاهري = ابن الفرضي، أبوالوليد عبدالله بن محمد: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص180، 181.
(11) محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1962، ص208، 209.
(12) رسالة في المفاضلة بين الصحابة، تحقيق: سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1359 هـ، ص87.

وذبذ التقليد، قال فيه ابن حيان فيما ينقله عنه الحميدي والذهبي: "كان داودي المذهب لا يرى التقليد"[13] كما جاء عند الحميدي كذلك أن ابن حزم ذكره من ضمن شيوخه الذين أخذ عنهم.[14]

- معالم وأسس مذهب أهل الظاهر:

1 - الالتزام بالنص الثابت في الكتاب والسنة في حدود المعنى الظاهر، فلا تأويل ولا مجاز مطلقاً إلا بنص واضح أو إجماع متيقن، وفي ذلك يقول ابن حزم: "ولا يحل لأحد أن يحيل أية عن ظاهرها، ولا خبراً عن ظاهره، لأن الله تعالى يقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[15] وقال ذامّاً لقوم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[16] ومن أحال نصاً عن ظاهره في اللغة بغير برهان أو إجماع فقد ادّعى أن النص لابيان فيه، وقد حرف كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه عن موضعه، فالواجب أن لا يحال نص عن ظاهره إلا بنص آخر صحيح، أو إجماع متيقن، أو ضرورة مانعة.[17]

2- نفي القول بالقياس واعتباره من الرأي المذموم، والقول على الله تعالى بغير علم، وأنه لا يحل الحكم بالقياس في الدين، والقول به باطل، فالواجب التمسك بالنصوص الشرعية وحدها.[18]

3- رفض القول بالأدلة الفعلية من استحسان ومصالح مرسلة وسد للذرائع لأنها كلها من باب القول في الدين بالرأي والهوى الباطل.

4- رفض التقليد مطلقاً، قال ابن حزم: "والتقليد حرام، لا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان، والعامي والعالم في ذلك سواء، وعلى كل أحد حظه الذي يقدر عليه من الاجتهاد".[19]

ومن خلال ما سبق يتضح أن الفقه الظاهري هو الوقوف عند حدود الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة دون عناية بعللها ومقاصدها، ودون الاهتمام بالقرائن والظروف المحيطة بتلك الألفاظ حين ورودها.[20]

- ابن حزم والظاهرية:

لقد شهد النصف الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ظهور مذهب جديد، معارض للفقه المالكي السائد في الأندلس، وهو المذهب الظاهري بريادة أبي محمد علي بن

---

(13) الحميدي: جذوة المقتبس ، ص516 ؛ تاريخ الإسلام ، ج 7، ص126.
(14) جذوة المقتبس، ص516.
(15) سورة الشعراء: الآية رقم (195).
(16) سورة المائدة: الآية (13).
(17) النبذ الكافية في أصول أحكام الدين، تحقيق أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م، ص36-37.
(18) ابن حزم: النبذ، ص62؛ محمد المنتصر الكتاني وأشرف عبد المقصود: موسوعة تقريب فقه ابن حزم الظاهري، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، 1993م، ج 1، ص32.
(19) النُبذ الكافية، ص71، 72 .
(20) عبد المجيد محمود عبدالحميد: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، بدون مكان، 1979م، ص335؛ محمود حمايه: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص159،160.

أحمد بن حزم (ت 456هـ/1064م) وصار له أتباعه وأنصاره، ويعد ابن حزم الظاهري صاحب الفضل الأكبر في تأسيس مدرسة الظاهرية في الأندلس وتحديداً شرق الأندلس، ولولاه لاندثرت أصول الفقه الظاهري وفروعه،[21] فألف فيه المؤلفات الباهرة، ورغم مضايقات فقهاء المالكية له، وتأليبهم لأمراء الطوائف عليه، فقد تمكن من نشر فقهه ومذهبه في أغلب بلاد الأندلس.

- **طلبه للعلم وأشهر شيوخه:**

انصرف ابن حزم للفقه وأعطاه عناية أكبر دون أن ينقطع عن أبواب العلم الأخرى، فاتجه أولاً إلى دراسة الفقه المالكي كونه المذهب الرسمي والسائد في الأندلس، فأخذه عن الفقيه أبي عبدالله بن دحون، وكان قد دله عليه شيخه أبو علي الحسين بن علي الفاسي، فمكث عند ابن دحون قرابة الثلاث سنوات يدرس الفقه المالكي،[22] ثم بعد ذلك تحول ابن حزم إلى المذهب الشافعي، وكان سبب هذا التحول ما رآه ابن حزم من تعصب وتقليد عند فقهاء المالكية واعتمادهم على القياس والاستحسان[23] والمصالح المرسلة[24] مما برر حسب رأيه لكثير من أمراء الطوائف التمادي في الظلم والطغيان والفساد في الدين والأخلاق، فالقياس وما إليه من استحسان قد أصبح مركوباً ذلولاً استطاع به جماعة من الفقهاء أن يوائموا بين أحكامهم وفتاويهم، وبين مقتضيات الحياة الفاسدة التي طُرحت فيها مبادئ الخُلق والضمير طرحاً، ومُسخت فيها كل أصول الدين وآدابه مسخاً، ووضعت الأحاديث في غير موضعها نصرة للمذهب المالكي وتعصباً إليه، فانتشر فقههم ومذهبهم بالسيف والسلطان لا بالحجة والبرهان[25] هذا كله دفع ابن حزم إلى التحرر من تعصب المالكية والاتجاه إلى المذهب الشافعي الذي يميل إليه كثير من المحدثين والفقهاء لشدة تمسكه بالنصوص وتضييقه دائرة القياس،[26] فبقي على المذهب الشافعي زمناً[27] ثم بعد ذلك تحول إلى القول بالظاهر رغبة منه في التحرر من سلطة المذاهب الفقهية، ومحاولة منه في إصلاح المحكومين من الرعية، وذلك بإصلاح الفقه الذي هو سبيل إصلاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخُلقية، لهذا لم يرحم ابن حزم بعض فقهاء عصره بقوله: "فتواهم مُعدَة، وأقلامهم مشروعة، يدعمون بها الطغاة خوفاً، ويبررون

(21) عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، منشورات مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988م، ص87.
(22) الحموي: معجم الأدباء ،ج 4، ص1652.
(23) الاستحسان عند المالكية هو الحكم الذي يخالف فيه القياس في أمر جزئي مصلحة، وذلك لأن إطلاق القياس يؤدي إلى أمر يكون فيه ظلم أو جور، وعلى ذلك فإن ابن حزم يراه شطط في الاجتهاد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فما يعده بعض الناس حسناً يعده غيرهم قبيحاً، وما يعده بعض الناس مصلحة يعده غيرهم مضرة، فتبطل الحقائق الشرعية وتضطرب، فمن المحال أن يكون الحق فيما استحسنا دون برهان = محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره ،ص365.
(24) هي التي لا يشهد لها نص من الشارع بالإثبات أو المنع، وهي من باب الاستحسان عند ابن حزم ما لم تكن منضبطة بنص أو إجماع قائم عليها = محمد أبو زهرة، المرجع نفسه، ص366.
(25) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري: ابن حزم خلال ألف عام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ج 1، ص317؛ صالح عومار: ابن حزم وأصوله في تصحيح الأحاديث من خلال كتابه المحلى، دار ابن حزم ، بيروت، 2009، ص123، 124؛ محمد عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،2001، ج3، ص421.
(26) صالح عومار: ابن حزم وأصوله في تصحيح الأحاديث، ص125.
(27) الذهبي: السير، ج18، ص186؛ ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986 ج3، ص342.

لهم المظالم طمعاً، ويسبحون بحمد الحاكم ملقاً، ويشغلون بدعوة الناس عن الجاد من أمور الدنيا بغير العاجل من شؤون الآخرة، ولايغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم"[28] ومن هنا دخل إلى باب الفقه ليصلح به الراعي والرعية واختار المذهب الظاهري كونه يوجب الاجتهاد ويمنع التلاعب بالنصوص ويحرم التقليد[29] ولا شك أن ذلك يتفق مع نزعة ابن حزم الداعي إلى الأخذ بنصوص الكتاب والسنة الصريحة وإجماع الصحابة من غير أي حواجز تقف دون ذلك[30] وفي ذلك يقول ابن حزم: "واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، كله برهان لامشاحة فيه، واتهموا كل من يدعو إلى أن يتبع بلا برهان، وكل من ادّعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى ومخارق، وأعلموا أن رسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن".[31]

بقى ابن حزم وفياً لمذهبه في وجوب الاتباع والاجتهاد وعدم التقليد، حتى أنه لم يقلد صاحب القول بالظاهر داود بن علي الأصبهاني، وفي ذلك يقول عن نفسه: "ولا يجهل علينا جاهل، فيظن أذنا متبعون مذهب الإمام أبي سليمان داود بن علي، إنما سليمان شيخ من شيوخي، ومعلم من معلمينا، إن أصاب الحق فنحن معه اتّباعاً للحق، وإن أخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه، وبالله تعالى التوفيق".[32]

تتلمذ ابن حزم على شريحة بارزة من شيوخ العصر آثروا بشكل كبير في تكوينه العلمي ونبوغه الفكري وهم: **أبو علي الحسين بن علي الفاسي**، مشهور بالنسك والصلاح والزهد في الدنيا، وكان لابن حزم كالرائد يوجهه إلى مجالس العلماء، قال فيه ابن حزم: "وما رأيت مثله علماً وعملاً وديناً وورعاً فنفعني الله به كثيراً"[33] **وأبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور الأموي القرطبي**، حدث عنه ابن حزم وقال: "سمعت منه قبل الأربعمائة"[34] وهو أقدم شيخ لقيه، توفى سنة 401هـ/1010م[35] **وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن علي التبريزي**، المشهور بابن الخازن البغدادي، روى عنه ابن حزم وكان شافعي المذهب،[36] **وأبو بكر يحيى بن عبدالرحمن بن مسعود القرطبي، يعرف بابن وجه الجنة**، قال عنه الذهبي: "الشيخ الثقة المعمّر، كان خيراً ديناً"[37] لقيه ابن حزم وأخذ عنه وهو أكبر شيخ لقيه، توفى سنة 402 هـ/1011م،[38] **وأبو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالرحمن بن حجّاف المعافري البلنسي**، تولّى قضاء بلنسية، حدث عنه

(28) الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، 1977، ص95.
(29) مبروك العوادي: ابن حزم الظاهري الأندلسي ونشأة المذهب الظاهري، مجلة الأصالة، العدد 25، الجزائر، 1975، ص51.
(30) محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص236.
(31) الفصل في الملل والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميره، دار الجيل، بيروت، 2005 ،ج 2، ص116.
(32) ابن عقيل الظاهري: ابن حزم خلال ألف عام ، ج 1، ص318.
(33) طوق الحمامة، ص145.
(34) الحميدي: جذوة المقتبس، ص158.
(35) صالح عومار: ابن حزم ، ص92.
(36) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ج 2، ص342.
(37) السير ،ج 17، ص204.
(38) ابن العماد، عبدالحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج 3، ص165.

ابن حزم وقال: "هو أفضل قاضٍ رأيته ديناً وعقلاً وتصاوناً، مع حظه الوافر من العلم"[39] توفى سنة 417 هـ/1026م،[40] **وأبو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله الطلمنكي** له مصنفات كثيرة في علوم السنة، فقيه حافظ ثقة، غيوراً على الشريعة، توفى سنة 429 هـ/1037م،[41] وأبو الوليد يونس بن عبدالله بن محمد القرطبي، مشهور بابن الصفّار، روى عنه كبار علمـاء الأندلس كابن عبد البر والباجي وأبي عمرو الداني، بالإضافة إلى ابن حزم، قال عنه الذهبي: "الإمام الفقيه المحدث، شيخ الأندلس، قاضي القضاة، كان بليغ الموعظة، وافر العلم، ذا زهد وقنوع، وفضل وخشوع"[42] توفى سنة 429هـ/1037م،[43] **وأبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الصاحب والشيخ**، فقيه الأندلس ومحدثها، كانت تربطه بابن حزم صداقة وثيقة، فأخذ عنه ابن حزم، وقد أثنى ابن حزم على كتاب التمهيد لابن عبد البر فقال: "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف بأحسن منه"،[44] وعده ابن حزم من أهل الاجتهاد والاختيار فى زمانه، توفى ابن عبد البر سنة 463 هـ/1070م،[45] وأبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني، فقيه زاهد، ظاهري المذهب، كان من ضمن من أخذ عنهم ابن حزم الفقه الظاهري، توفى سنة 426هـ/1034م.[46]

هؤلاء هم طائفة من شيوخ الإمام ابن حزم الذين تلقى عنهم العلم في صغره بقرطبة وغيرها من مدن الأندلس، ممن شهدت لهم كتب التراجم على غزارة علمهم وطول باعهم في مجال العلم والمعرفة، فقد حرص ابن حزم على الأخذ عنهم والاغتراف من بحر علومهم والتأدب بآدابهم إلى أن صار إماماً وعالماً من علماء الأندلس.

- مؤلفاته في الفقه الظاهري وتلاميذه:

كان على ابن حزم أن يجدد المذهب، بهدف خدمة مشروعه الإصلاحي في مواجهة المذهب المالكي الذي أصبح يخدم أهداف أمراء الطوائف،[47] ومن ثم رايناه خطا خطوات واسعة إلى ما هو أبعد مما خطاه الباجى فى مشروعه الذي ابتدأه بإصلاح الحكام أولا، ولقد كان ابن حزم متأثرا بمشايخه وبواقع مجتمعه حال تأصيل مشروعه الفقهى كمشروع خاص، ومشروعه الإصلاحي كمشروع عام، فاندفع لتأصيل هذا المشروع الكبير من خلال عدة وسائل:

أولها: التأليف والتصنيف إذ إنه يعد من العلماء المكثرين في التأليف كونه لم يترك باباً من أبواب العلم أو فنّاً من فنونه إلا وصّنف فيه الكتب والرسائل، فألف في الفقه والحديث والملل والنحل

(39) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص222.
(40) المحلي: ج 11، ص 337.
(41) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 3، ص1098.
(42) السير: ج 17، ص569.
(43) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص526.
(44) الحميدي: الجذوة، ص544.
(45) ابن خلكان ،أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ت ، ج 7، ص66.
(46) الحميدي، المصدر السابق ، ص516.
(47) محمود إسماعيل : ابن حزم ومدرسته جدل الفقه والتاريخ، ص 18.

والمنطق، والتاريخ والفلسفة والشعر والأدب، وترك في أكثرها تواليف جمة ضخمة تدل على سعة علمه وتوسع مداركه، إلا أنه في مجال الفقه وأصوله كان أوسع دائرة في التأليف، منها **الإحكام في أصول الأحكام:**[48] ضمّن ابن حزم في هذا الكتاب أفكاره وآراءه الفقهية والأصولية التي بنى عليها مذهبه الظاهري، والكتاب يقع في ثمانية أجزاء وكل جزء يتكون من عدة أبواب، تناول فيه أحكام الأصول الفقهية كأحكام العموم والخصوص في الأوامر والنواهي، وأحكام النسخ والمحكم والمتشابه والمجاز، والإجماع، وإبطال القياس والتعليل والاستصحاب والتقليد، وذم الخلاف والنهى عنه، ووجوب لزوم الشريعة الإسلامية، وصفة طلب علم الفقه، وصفات المفتي، ووجوب النيات في الأعمال، والاجتهاد وبيان من هو معذورٌ باجتهاده ومن ليس معذوراً به،[49] وقد صاغ ابن حزم كتابه هذا بأسلوب قوي مدعماً إياه بالأدلة والبراهين، مرتباً إياه ترتيباً دقيقاً على درجة عالية من الجودة والإحكام، مايدل على رسوخ قدمه في علم أصول الفقه، وسعة حرية فكره في البحث والاستنباط وفق منهج لم يألفه أقرانه من علماء عصره، ومن مؤلفاته الفقهية كذلك الإيصال إلى **فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع**، وقد سبق الكلام عن هذا الكتاب وأنه من ضمن كتب ابن حزم في فقه الحديث، وإيراده هنا كون الكتاب يعد كتاباً فقهياً كذلك لاستيعابه المسائل الفقهية وأقوال الصحابة والتابعين فيها،[50] واشتهر من مؤلفاته أيضا المحلّى في **شرح المجلى بالحجج والآثار:**[51] بالإضافة إلى كونه كتاب في فقه الحديث - كما سبق ذكره - فهو كذلك موسوعة فقهية بين فيها ابن حزم أراءه واختياراته الفقهية وفق مذهبه الظاهري محتجاً بالآثار والأحاديث النبوية،[52] وله في الفقه كذلك **إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل:**[53] وفيه بّين ابن حزم الحجج والبراهين في إبطال القياس والتقليد والتعليل، وأن ذلك ليس من دين الله في شئ، وأن الشريعة قد بينت كل الأحكام ولا حاجة للقياس والرأي والاستحسان، وليس لأحد أن يقلد أحد، فدين الله واحد وحكمه واحد، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾[54] وله أيضا في الفقه **التلخيص لوجوه التخليص:**[55] ألّفه ابن حزم بناءً على سؤال بعض طلبة العلم له على تسع مسائل من أمور دينهم، وفي مجملها مسائل تتعلق بالكبائر، وفضائل الأعمال التي تقود إلى النجاة يوم القيامة، وفضل طلب العلم، والفتنة والموقف الشرعي فيها، ومسائل تتعلق بالمطعم والملبس والكسب، ووجوب التوبة من المعاصي ورد المظالم إلى أهلها، وكتاب ابن حزم هذا لا يستغني عنه طالب العلم الشرعي لما حواه من مسائل علمية فقهية وحديثية قيمة، كما ألف في فقه الحج كتاب **حجة الوداع:**[56] واختار الإمام ابن حزم هذا العنوان خالياً من السجع والتطويل، فاكتفى

(48) كتاب مطبوع بعدة طبعات، والطبعة التي اعتمدت عليها بتحقيق الدكتور محمود حامد عثمان، منشورات دار الحديث بالقاهرة سنة 1997م، وهي ثمانية أجزاء في مجلد واحد.
(49) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 1997م، ص ص25 – 27.
(50) الحميدي: الجذوة ، ص450.
(51) كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية للنشر، السعودية، 2003م.
(52) صالح عومار: ابن حزم ، ص142.
(53) كتاب مطبوع بتحقيق سعيد الأفغاني، منشورات مطبعة دمشق، دمشق، 1960م.
(54) سورة النساء، الآية (82).
(55) كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الحق التركماني، منشورات دار ابن حزم، بيروت، 2003م.
(56) كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، 2008م.

بالتسمية التي صارت اسمَ علمٍ لتلك الحجة الشريفة فهي (حجة الوداع) في اسمها ومعناها ورسالتها، وهذا الكتاب يبحث في هذه الحادثة المهمة، فيستعرض جزئياتها، ويغوص في تفاصيلها، ويحقق في وقائعها من خلال الروايات الموثقة بالأسانيد التي أخضعها الإمام ابن حزم للنقد والمقارنة والتمحيص والجمع والترجيح والتوجيه، وذلك من خلال أساليبه المعرفية المتعددة، فهو محدّث حافظ، وفقيه أصولي، ومؤرخ متقن، ولغوي مدقق، وباحثٌ متعمق بعقلية نافذة، وذكاء متوقد،إلا أنه وقع في بعض الأخطاء في كتابه هذا بينها العلماء من بعده كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وبرر رحمه الله الأوهام التي وقع فيها ابن حزم كونه لم يحج في حياته ولم ير المشاعر المقدسة فصدرت في كتابه أخطاء وهفوات، ومن مصنفاته الفقهية كذلك النبذ **الكافية في أصول أحكام الدين**[57] وفيه يعرض ابن حزم وجهة نظره في بعض مصادر التشريع الإسلامي بأدلة معتبرة عند العلماء، ومصادر التشريع التي يناقشها ابن حزم في هذا الكتاب القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب وشرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما ينسخه وقول الصحابي، ويناقش ابن حزم هذه المصادر ويبين ماهو متفق عليه، وما هو مختلف فيه، وما هو مردود لا يصلح أن يكون مصدراً من مصادر التشريع كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، ويبين رأيه وأدلته فيها، وأيضا كتاب **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات:**[58] جمع الإمام ابن حزم في مؤلفاته هذه المسائل الفقهية التي صح فيها الإجماع بين العلماء، والمسائل التي وقع فيها الخلاف بينهم، وذلك ليسهل حفظها واستيعابها.

ولابن حزم كتب فقهية أخرى لم يبق سوء ذكرها في كتب التراجم والطبقات منها: الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التعارض عنها، وكتاب الفرائض، والتصفح في الفقه، والإملاء في قواعد الفقه، ومعنى الفقه والزهد، وكتاب اختلاف الفقهاء الخمسة: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداود، وكتاب ما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء وما انفرد به كل واحد ولم يسبق إلى ما قاله، وكتاب ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس، والنكت الموجزة في ذفي الأمور المحدثة في الدين من الرأي والقياس والاستحسان والتقليد، وكتاب الصادع في الرد على من قال بالتقليد، ودُرر القواعد في فقه الظاهرية.[59]

وثانى هذه الوسائل: تنشئة طلابه وتلامذته على منهجه ومشروعه الإصلاحي الشامل، وعلى الرغم من تضييق فقهاء المالكية عليه وإقصاء أمراء الطوائف له بسبب مذهبه الظاهري، فمذهبه دعوة صريحة منه إلى العامة بالخروج على كل ما يتعارض مع العقل والمنطق، فضلا عن أرائه الصريحة في كتبه المعبرة عن معارضته للسلطات السياسية في عصره، كما أنه حمل ملوك الطوائف مسئوليتهم عن أحوال الأندلس المتردية، بل بلغ الأمر انه أفتى بعدم مشروعية حكمهم، فخشي أمراء الطوائف تأثر العامة بآرائه، فحذروا منه العامة، بل وصل الأمر إلى إحراق كتبه بأمر من ملك إشبيلية المعتضد بن عباد يسانده "فقهاء المالكية المتعصبين"؛ إلا أن ابن حزم تمكن من نشر علمه وفقهه بكل حرية إبّان إقامته في مملكة دانية والجزائر الشرقية وبالتحديد في جزيرة

(57) كتاب مطبوع بتحقق الدكتور أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م.
(58) كتاب مطبوع نشرته دار الكتب العلمية ببيروت.
(59) ياقوت: معجم الأدباء، ج3، ص554 ؛ الذهبي: السير ، ج18، ص194-197 ؛ الصفدي ،صلاح الدين أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤط وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ،2000 ج20، ص90، 91.

ميورقة، فذاع صيته وعلا مكانه، فأقبل عليه طلاب العلم ينهلون من علمه ومعارفه، فاشتهر منهم تلميذه النجيب **أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي الميورقي**، تتلمذ على ثلّة من علماء الأندلس قبل رحلته للمشرق، فكان الإمام ابن حزم من كبار شيوخه الذين أخذ عنهم ولقيهم بميورقة، فتأثر به الحميدي في الأخذ بظاهر النصوص في مسائل الحديث والفقه والابتعاد عن التقليد،[60] وممن أخذ عنه ابنه **أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم**، أخذ عن أبيه العلم وكتب بخطّه عن والده علماً كثيراً، وهو الذي جمع علم أبيه كله فقال في ذلك: "اجتمع عندي بخطّ أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجّلد تشمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة"[61] وكان الفضل بن حزم أديباً ذا نباهه وذكاء، توفى بمعركة الزلاقة التي خاضها المرابطين ضد الفرنسو السادس سنة 479هـ/1086م[62] كما أخذ عنه وتأثر به **أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي القرطبي**، روى عن الإمام ابن حزم الحديث والفقه وكان من أهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية في الحديث ورجاله والفقه ومذاهبه، تولّى قضاء طليطلة زمن المأمون بن ذي النون، واستمر في منصبه حتى وفاته بطليطلة سنة 462هـ/1069م[63] أيضا ممن تتلمذ على يديه **أبو الحسن علي بن سعيد بن عبدالرحمن بن محرز الميورقي**، سمع من الإمام ابن حزم بميورقة وكان من خواص تلاميذه وعنه أخذ الفقه الظاهري، رحل إلى المشرق واستوطن بغداد وسمع من عالمها أبي بكر بن الخطيب البغدادي، قال عنه ابن ماكولا: "صديقنا أبو الحسن الفقيه العبدري رجل من أهل الفضل والمعرفة والأدب وهو من جزيرة ميورقة"[64] توفى بن محرز بعد سنة 491 هـ بقليل،[65] وأخذ عنه **أبوبكر عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بريال الأنصاري**، روى عن ابن حزم الظاهري وكان عالما ورعاً، أصله من وادي الحجارة، انتقل آخر حياته إلى بلنسية وبقى فيها حتى وفاته سنة 502هـ/1108م[66] وسمع منه **أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي**، مشهور بابن رندقة، فقيه حافظ وإمام محدّث، أخذ الفقه عن ابن حزم الظاهري، رحل إلى المشرق لطلب العلم وفي عودته نزل الإسكندرية وبقى فيها حتى وفاته سنة 520هـ/1126م.[67]

- **مناظراته الفقهية:**

وثالث هذه الوسائل التي استعملها ابن حزم في نشر مذهبه وتأسيس مدرسته الظاهرية:
المناظرات الفقهية التى وقعت بين ابن حزم وبعض خصومه المالكيين وأشهرها:

(60) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، 55 ص77.
(61) المقري : نفح الطيب ، 2 ص83.
(62) ابن بشكوال : الصلة ، ج 2، ص369.
(63) الضبي،أحمد بن يحيى : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص311
(64) ابن بشكوال :المصدر السابق ،ج 2، ص338.
(65) السبكي ،تاج الدين بن علي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة ، 1976م، ص258.
(66) أحمد بن ناصر الحمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406 هـ، ص67.
(67) الضبي : المصدر السابق ، ص117 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 4، ص262.

1- المناظرة بينه وبين الفقيه المالكي ابن البارية الميورقي:

كان الإمام ابن حزم الظاهري قد حل بميورقة سنة 430 هـ/1038م وذلك بمساعي واليها أحمد بن رشيق كما سبق، وذلك ليتيح له فرصة نشر آرائه وفقهه بعد أن ضيق عليه الفقهاء وأقصته الأمراء، فما لبث أن حلَّ ابن حزم بميورقة حتى تصدى له أحد فقهائها المالكيين ويدعى أبا الوليد بن البارية، فدارت بينه وبين ابن حزم مناظرة فقهية في مجلس أحمد بن رشيق فلم يستطع الفقيه ابن البارية الصمود أمام حجج الإمام الظاهري ابن حزم وبراهينه فَذُلَّ وَهُزِمَ في تلك المناظرة، فما كان من والي ميورقة ابن رشيق إلا أن سجنه عدة أيام ثم أطلق سراحه بعد أن أشهد عليه بأن لا يتعرض لابن حزم بالطعن، وانتهى الأمر بابن البارية بأن أدركته منيته أثناء رحلته لأداء فريضة الحج.[68]

2- المناظرة الفقهية بين ابن حزم والباجي:

جاء بعد ابن البارية لمناظرة ابن حزم فقيه أخر مالكي وهو القاضي أبو عبدالله بن عوف، إلا أنه أخفق كسابقه ابن البارية، فذاع صيت ابن حزم بجزيرة ميورقة وبدأ مذهب الظاهري بالانتشار في كل جزر البليار، وتكونت مدرسة لتعليم المذهب الظاهري يرأسها إمام أهل الظاهر ابن حزم، وظل الأمر كذلك إلى ان قام أحد فقهاء ميورقة ويدعى محمد بن سعيد بطلب معونة أبي الوليد الباجي الذي كان قد حل ببلاط أمير دانية والجزائر الشرقية على بن مجاهد العامر وتقلَّد أمر الشورى والقضاء فيها، فنزل الباجي عند رغبة الفقيه ابن سعيد، وذلك لما لاحظه عند عودته من رحلته إلى المشرق من شهرة واسعة لابن حزم، كما لاحظ أن آراءه الفكرية قد غزت قلوب الناس واستمكنت منها، وذلك لما يملكه ابن حزم من قدرة وتمكن من استخدام طرق الجدل والمناظرة،[69] وأنه ليس لفقهاء الأندلس المالكيين القدرة على مجاراته كونهم قليلاً ما يحفلون بالنزر في الأدلة العقلية، ولضعف القدرة كذلك عندهم في تحصيلها واستنباطها، وقد لاحظ القاضي عياض موقف الباجي هذا فقال: "وجد عند وروده بالأندلس لابن حزم الداودي صيتاً عالياً، وظاهريات مذكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت لقلة استعمالهم النظر، وعدم تحققهم به، فلم يكن يقوم أحد بمناظرته فعلا بذلك شأنه، وسلَّموا الكلام له على اعترافهم بتخليطه، فحادوا عن مكالمته حتى صار ابن حزم شيخ ميورقة ورأس أهلها "[70] ويتفق ابن العربي اتفاقاً تاماً مع عياض في سبب شهرة ابن حزم وانتشار مذهبه وفكره في جزر البليار وبالتحديد في ميورقة، قائلاً: "إن ابن حزم كان بين أقوام لا نظر لهم إلا المسائل فإن طالبهم بالدليل كاعوا، فتضاحك مع أصحابه منهم".[71]

نزل الإمام الباجي مع أخيه إبراهيم جزيرة ميورقة بداية سنة 440هـ/1048م فوافق مجيئهما وفاة والي ميورقة أحمد بن رشيق الذي كان طوال عشر سنوات مضت أكبر نصير وسند لابن حزم على خصومه[72] الأمر الذي مكّن لخصوم ابن حزم بمساندة الإمام الباجي من التغلب عليه، وفي

(68) ابن الآبار، محمد بن عبدالله القضاعي : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995م ، ج 3، ص817.
(69) ابن الآبار: المصدر نفسه، ج 2، ص523.
(70) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، المغرب، د ت، ج 4، ص805.
(71) العواصم من القواصم، منشورات مطبعة عبد الحميد باريس، الجزائر، 1928م ، ج 2، ص67، 68.
(72) الحموي: معجم الأدباء ،ج 1، ص122-123.

ذلك يقول ابن الآبار: "وقد تحالف أبو الوليد الباجي مع العالم الميورقي المتكلّم محمد بن سعيد الميورقي، وتضافرا عليه - أي ابن حزم - وناظراه، فأفحماه وأخرجاه من ميورقة.[73]

وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرض له ابن حزم علي يد خصومه والتضييق الذي لحقه عقب وفاة صديقه وعضُده ابن رشيق، إلا أنه لم يتراجع عن مذهبه، وظل داعياً إليه حتى وفاته، وقد روى ياقوت الحوار الذي جرى بين الباجي وابن حزم عقب انتهاء المناظرة بينهما فقال: "وجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على سرج الحراس، فقال ابن حزم: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة، أراد أن الغنى أضيع لطلب العلم من الفقر"[74] وعلى الرغم مما جرى بين الباجي وابن حزم، فإن ابن حزم كان يُجِلُّ الإمام الباجي ويشيد بمنزلته وإمامته في المذهب المالكي[75] وكان يقول عنه: "لم يكن لاتباع المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي".[76]

والحق أن ابن حزم لم ينهزم في معركة نشر مذهبه للقوة المسيطرة على الناحية الفقهية التي تمثل كتلة قوية قادرة على التأثير علي الحاكم والعامة لوأد أي اتجاه يؤثر على مكانتها، فهم لم يعطوا لابن حزم وأتباعه فرصة الذمو وتكوين كتلة قوية أيضا قادرة علي التأثير علي الحاكم لإحداث التغيير الفكري الإصلاحي المنشود، ودور الطبقة نفسها وما أكثر ما بها من فقهاء للمالكية، وتلك تمثل قوة رابضة تجاه أي محاولة للتغيير، فثبوت المذهب المالكي ورسوخه في دائرة كبرى، تحيط بالأندلس، قد أتى من عدة نواحي: تتمثل أولها في رحلة علمائه إلي المشرق، وأثرهم بعد ذلك في العودة وتدريس الفقه المالكي، وتلك أهم وسيلة من وسائل انتشاره، كونه مادة تربوية دينية أساسية، ثم تأتي بعد ذلك أهم مرحلة وهي تأليف الكتب والمصنفات المالكية؛ منها ما هو لتدعيم المذهب؛ ومنها ما هو هجومي ضد خصومه، كل ذلك فضلا عن سيطرة فقهائه علي مجريات الحياة السياسية[77] فقد وقف أمام ابن حزم - قبل الباجي - فقهاء مالكيين آخرون، إلا أنهم لم يستطيعوا مجاراته، مثل أبو الوليد بن البارية من فقهاء جزيرة ميورقة، ما حمل الوالي علي سجنه واستهانته كما مر ذكره.

وما أن خرج ابن حزم عن ميورقة حتى ازداد أذى فقهاء المالكية له، فهيّجوا عليه العامة، وحذروا منه الملوك والأمراء بتهمة أنه يهاجم الأئمة الأربعة ويسفّه أقوالهم - وهي فرصة للتخلص من أكبر داعية إلى وحدة الأندلس تحت راية بني أمية كون ابن حزم من أشد الناس ولاء للبيت الأموي - فأُحرقت كتبه على يد ملك إشبيلية المعتضد بن عباد كما أسلفنا، وحذّر العامة من تداولها وقراءتها، فقال ابن حزم أبياتاً من الشعر يصف فيها حادثة إحراق كتبه، وما جرى له من الإقصاء والتشريد عن وطنه الأندلس جاء فيها:

---

(73) التكملة، ج1، ص391 .
(74) معجم الأدباء ، ج 4، ص1652.
(75) لطفي عبدالبديع، الإسلام في إسبانيا، منشورات لجنة التأليف والترجمة، ط1، القاهرة، 1958م، ص43.
(76) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1981م، القسم 2، ج1، ص96.
(77) عبد المجيد تركي: مناظرات في أصول الشريعة الاسلامية بين ابن حزم والباجي، ص 59،60؛ إبراهيم القادري بوتشيش: دور علماء المغرب والأندلس في تدعيم المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، مجلة الأحمدية، العدد العشرون، دبي، 2005م، ص222-235.

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي

تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبـي

وينزلُ إن أنزل ويدفن في قبـري

دعوني من إحراق رق وكاغدٍ

وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بـدأةً

فكم دون ما تبغون لله من ستـرِ[78]

- **وفاته وثناء العلماء عليه:**

انتهى المقام بالإمام ابن حزم في قرية "منت ليشم" إحدى أعمال لبلة غرب الأندلس، وكانت هذه القرية من ضمن ممتلكات أسرة الإمام ابن حزم من قبلُ،[79] فقضى فيها سنواته الأخيرة عاكفاً على التدريس والتأليف حتى وفاته في الثامن والعشرين من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة عن عمر ناهز الإحدى وسبعين عاماً.[80]

ظل المذهب الظاهري راسخاً في جزر البليار حتى بعد خروج ابن حزم منها، فانتقل مع تلاميذه من المحدثين والفقهاء إلى المغرب والمشرق الإسلامي، وأصبح المذهب الحزمي حركة فكرية كبرى دافع عنها أنصارها وحاربها خصومها حتى بداية العصر الموحدي الذي أصبح بحق عصر ازدهار للمذهب الظاهري،[81] وذلك عندما قام الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي 580-595 هـ/1184-1198م بحمل الناس في المغرب والأندلس على الأخذ بمذهب أهل الظاهر وترك التمذهب بمذهب الإمام مالك، بل وصل به الأمر إلى حرق كتب الفروع في المذهب المالكي كمدونة سحنون وواضحة ابن حبيب وما جانسها من كتب الفروع الأخرى،[82] فأحرقت الكتب المالكية كما أحرقت في عهد ابن حزم الكتب الظاهرية،[83] وأصبحت الفتيا والقضاء وكل الأحكام الشرعية مدارها على المذهب الظاهري طيلة حكم الموحدين للأندلس.

(78) ابن بسام: الذخيرة، القسم الأول، ج 1، ص171؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص356.
(79) الحموي: معجم المؤلفين، ج 4، ص1651.
(80) ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص334.
(81) Urvoy Dominique: lavie intellectually et spiritually dans les balers muscleman's Allandale's, 1972, P. 102.
(82) المراكشي، عبد الواحد بن على: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963م، ص354–355.
(83) محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص446.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكذلك أبو محمد بن حزم مع معرفته بالحديث وانتصاره لطريقة داود وأمثاله من نفاة القياس أصحاب الظاهر قد بالغ في نفي الصفات، وردها إلى العلم مع أنه لايثبت علماً هو صفة، ويزعم أن أسماء الله كالعليم والقدير ونحو ها لا تدل على العلم والقدرة، وينتسب إلى الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة ،ويدعي أن قوله هو قول أهل السنة،(84) وقال عنه أيضاً: "وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى الحسنى لاتدل على المعاني فلايدل عليم على علم ولا قدير على قدرة بل هي أعلام محضة .. إلى أن قال ابن تيمية رحمه الله: "و هذا مأخذ الجهمية و من وافقهم على نفي الصفات"،(85) و قال عن معتقده الإمام الحافظ ابن عبدالهادي: "وأبومحمد من بحور العلم له اختيارات كثيره حسنة وافق عليها غيره من الأئمة وله اختيارات انفرد بها في الاصول والفروع وجميع ماانفرد به خطأ، و هو كثير الوهم في الكلام على تصحيح الحديث وتضعيفه وعلى أحوال الرواة .. إلى أن قال: "وقد طالعت أكثر كتاب الملل والنحل لابن حزم فرأيته قد ذكر فيه عجائب كثيرة وقول غريبة، وهو يدل على قوة ذكاء مؤلفه، وكثرة أطلاعه، ولكن تبين لي أنه جهمي جلد لايثبت من معاني أسماء الله الحسنى إلا القليل كالخالق والحق، و سائر الاسماء عنده لاتدل على معنى أصلاً"،(86) وحكى عنه ابن كثير رحمه الله: كان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فاورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه .. إلى أن قال: "والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهرياً حائراً في الفروع لا يقول بشئ من القياس لا الجلي ولا الخفي ولا غيره .. وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات لانه قد تضلع في علم المنطق أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي ففسد بذلك حاله في باب الصفات"،(87) و قال فيه أيضاً أبو عقيل الظاهري: "أنه غير موفق في كثير من مسائل الأسماء والصفات"(88) وفي سؤال وجه للجنة الدائمة عن ابن حزم فكان الجواب: "أنه من العلماء المبرزين في الأصول والفروع و في علم الكتاب والسنة إلا أنه خالف جمهور وأهل العلم في مسائل كثيرة أخطأ فيها الصواب لجموده على الظاهر وعدم قوله بالقياس الجلي المستوفي للشروط المعتبرة وخطأه في العقيدة بتأويل نصوص الأسماء والصفات أشد وأعظم"(89) وقال عنه الإمام المحدث الألباني رحمه الله تعالى: أن ابن حزم من كبار حفاظ الحديث وأئمة الظاهرية ولكنه في الأسماء والصفات جهمي جلد وله أوهام كثيرة في الرواة وتجهيلهم".(90)

تبوأ الإمام ابن حزم الظاهري مكانة علمية عالية بين علماء المشرق والمغرب، واعترف بفضله وتفوقه في كثير من العلوم والفنون القاصي والداني، والمعجب والمبغض، واتفق جُلّ من جاء بعده على إمامته وفضله وديانته وعلمه في الفقه والحديث والملل والنِّحل والأدب والتاريخ، فلا تكاد تجد مؤلفاً في الحديث أو الفقه أو الأدب أو العقائد إلا ولابن حزم ذِكْرٌ أو رأيٌ فيه سواءً كان

(84) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق عبداللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م ،ج5، ص249.
(85) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم ، منشورات جامعة محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض، 1406، ج2 ، ص583.
(86) طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986م ،ج3، ص350.
(87) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د ت ، ج12، ص92.
(88) ابن حزم خلال ألف عام، ج2، ص153.
(89) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة، المجلد 12، ص 223، فتوى رقم 6988.
(90) الألوسي: الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنيفية السادات ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف، ص91، هامش1.

موافقاً أو مخالفاً، ناهيك عما كُتب عنه من أبحاث ودراسات كثيرة في عصرنا الحاضر، وقد أثنى على ابن حزم أقرانه ومن جاء بعده من العلماء، بعد أن بينوا خطأه وزلته في باب الصفات وموافقته للجهمية في نفيها نصحاً للمسلمين حتى لايغتروا بثناء العلماء عليه فيقعوا فيما وقع فيه من أوهام ومغالطات في العقيدة ومعرفة رجال الحديث - كما أشرنا سلفاً- شهدوا له بسعة علمه وفضله، ومشاركته العظيمة في خدمة العلم وأهله، فهذا تلميذه الحميدي يقول عنه: "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة، متقناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه، متواضعاً ذا فضائل جمّة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وما رأينا مثله رحمه الله، فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الآداب والشعر نفَسٌ واسع وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه"،[91] وقال عنه المؤرخ الأندلسي أبو مروان بن حيان (377-469هـ) وهو معاصر له: "كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض الفنون كتب كثير، وكان يحمل علمه هذا ويجادل عنه من خالفه فيه، ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلم وِقْرُ بعير، إن تحرك بالسؤال تفجرّ منه بحرُ علم لا تكدره الدِّلاء، ولا يقصُرُ الرِّساء، وللشيخ أبي محمد مع يهودٍ لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة"[92]، وجاء في نفح الطيب: "قال صاعد تلميذ ابن حزم في تاريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعة في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار"[93] كما وصفه ابن خلكان بقوله: "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة .. وكان متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله، متواضعاً، ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً"،[94] وقال المركشي فيه: "بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنِحَل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين له نحو أربعمائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا لاشئ ما علمناه لأحد ممن في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً"،[95] وأثنى عليه السمعاني قائلاً: "وأبو محمد كان من أفضل أهل عصره بالأندلس وبلاد المغرب، صاحب التصانيف والكتب المفيدة، وكان حافظاً للحديث .. سمع كثيراً من أهل الأندلس"،[96] وأفضل ما قيل فيه ما جاء على لسان الإمام الذهبي ما نصه: "الإمام الأوحد، ذو الفنون والمعارف، الفقيه الحافظ، المتكلم الأديب، الوزير الظاهري،

(91) جذوة المقتبس ، ص449-450.
(92) الحموي: معجم الأدباء،ج 4، ص1654.
(93) المقري: نفح الطيب، ج 2، ص78.
(94) وفيات الأعيان، ج3، ص325.
(95) المعجب، ص94.
(96) الأنساب، ج5، ص694.

صاحب التصانيف، رزق ذكاءً مفرطاً وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك، ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم، فتألمت له، فإنه رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، عديم النظير، على يبّس فيه، وفرط ظاهرية في الفروع لا في الأصول .. وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنشر، وفيه دين وخير، ومقاصد جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار".(97)

هذه أقوال العلماء قديماً وحديثاً تتضافر على عظم منزلة الإمام ابن حزم العلمية، وأنه من أكثر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً في العلوم الإسلامية كلها، فلم يكن علمه مقصوراً على علوم النقل بل تجاوز الأفاق إلى علوم طوت الأزمان بعضه في سجل التاريخ، وأبقت بعضه للإخلاف يتعلمون منه آثاراً وفقهاً وجدلاً وفلسفة وأخلاقاً، ويعلمون من خلال ثنايا ذلك الإرث قدر ذلك العالم الجليل الذي يعد بحق من بين أعظم الشخصيات التي ساهمت وأثّرت في مسيرة الحياة العلمية في الأندلس.

- الخاتمة

خلاصة القول لقد ازدهرت الدراسات المذهبية الفقهية في الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي على الرغم من الصراع المذهبي الجلي إبان هذه الحقبة من تاريخ الأندلس بين فقهاء الظاهرية وفقهاء المالكية، ولم تكن هذه الدراسات قاصرة على المذهب المالكي وحسب، يتضح ذلك جليا من خلال المصنفات الفريدة التي صنّفت في مجال الفقه الظاهري وأصوله مع تنوع المذاهب الفقهية الأخرى ولكن على استحياء إذا ماقورنت بسيادة المذهب المالكي المذهب الرسمي للبلاد كون مدار الفتيا والأحكام عليه من قرون مضت في تاريخ الأندلس، وذلك نتيجة للحرية الفكرية والمذهبية التي أطلقها بعض أمراء الطوائف آنذاك خاصة أمراء ممالك شرق الأندلس وذلك طيلة فترة حكمهم، ومن الطريف أن نشير إلى أن ابن حزم الظاهري الفقيه والعالم في آن واحد وواضع أسس الظاهرية والتي لازلنا نلحظ آثارها إلى وقتنا هذا كان محترماً من طرف أبرز الشخصيات الثقافية والفكرية في عصره وذلك بالرغم من خلافاته وصراعه المذهبي مع فقهاء المالكية من جهة وكثرة جدله مع خصومه من أهل الملل والنحل من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال انتقده المؤرخ الكبير ابن حيان بشدة وجاءت هذه الانتقادات في ذخيرة ابن بسام، إلا أنه لم يتردد عن وصفه بالعالم الفريد لاجئاً في ذلك إلى أسمى العبارات، بينما لم يتردد ابن بسام هو الآخر في مدح أبي الوليد الباجي حتى بعد لقائه بابن حزم ومناظرته له في ميورقة، ورغم إدانته لأفكار ابن حزم واقتراح منع نشاطه وهجومه على ملوك الطوائف؛ لم يمنع ذلك ابن حزم من وصفه لأبي الوليد الباجي بأعظم فقيه مالكي لقيه، بعبارة أخرى؛ لقد اعترف غيره

(97) السير، ج 18، ص184-188.

بعلمه كما اعترف هو بعلم غيره، وذلك رغم اختلافه مع عدد من معاصريه في الرأي، و هذا أمر معقول نظراً للطابع الموسوعي الذي تتميز به أعماله وتآليفه ومساهمته الفريدة في جميع المجالات التي عالجها، والتي أثبتت الأحداث فيما بعد صحة وصواب آرائه السياسية القوية تجاه حكام وملوك الطوائف والأقليات اليهودية والمسيحية وخطر ها على المجتمع الإسلامي الأندلسي على المدى الطويل.

- **مصادر ومراجع البحث:**

أولاً: المصادر:

1- ابن الآبار: أبو عبدالله محمد بن عبد الله القضاعي (ت:658هـ/1259م).
- الحلة السِّيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995م.

2- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله (ت: 776هـ/ 1374م):
- تاريخ بغداد وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001م.
- الجامع لأخلاق الراوي والسامع: تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ.

3- ابن العربي، أبوبكر بن محمد (ت: 543هـ/1148م):
- العواصم من القواصم ، منشورات مطبعة عبد الحميد باريس ، الجزائر ، 1928م

4- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت: 1089هـ/ 1678م):
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

5- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد (ت: 403هـ/1012م):
- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.

6- ابن بسام الشنتريني (ت: 542هـ/1147م):
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.

7- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 528هـ/1183م):
- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوا ري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

8- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس (ت: 728هـ/1327م):
- منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، منشورات جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1406هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، تحقيق عبداللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

9- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت: 456هـ/1063م):
- مراتب العلوم، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1983م.
- طوق الحمامة في الألفة والآلاّف، تحقيق فاروق سعد، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1975م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1416هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 2005م.
- المجلى في شرح المحلّى بالحجج والآثار، تحقيق حسان عبدالمنان، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض، 2002م.
- رسالة في المفاضلة بين الصحابة، تحقيق: سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1359هـ.
- النبذ الكافية في أصول أحكام الدين، تحقيق أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1981م.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضمن مجموع رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1987م.
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 1997م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- الأصول والفروع، تحقيق محمد عاطف العراقي وآخرين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978م.

10- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ/1286م):
- المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م.

11- ابن عبد الهادي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الصالحي (ت: 744هـ/ 1343م):
- طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986م.

12- ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي (ت: 774هـ/1372م):
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

13- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت: 626هـ/1228م) :
- معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 1993م.

14- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح (ت: 488هـ/1095م):
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

15- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: 463هـ/1070م):
- تاريخ بغداد وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001م.

16- الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد (ت: 748هـ/1347م):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1990م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت،

17- السبكي، تاج الدين بن علي (ت: 771هـ/1369م):
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1976م.

18- الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت: 764هـ/1362م):
- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، 2000م.

19- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت: 599هـ/1202م):
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

20- القاضي عياض (ت: 544هـ/ 1149م) :
- ترتيب المدارك وتفريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ،المغرب ، د ت،

21- المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت: 621هـ/1224م) :
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963م.

22- المقرى، شهاب الدين أحمد التلمساني (ت: 1041هـ/1631م):
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- ثانياً: المراجع العربية:

1- أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:
- "ابن حزم خلال ألف عام" دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1982م.

2- أحمد بن ناصر الحمد:
- ابن حزم وموقفه من الإلهيات، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406هـ.

3- آنخل بالنثيا:
- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1955م.

4- صالح بن سعيد عومار:
- الإمام أبو محمد بن حزم وأصوله في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال كتابه المحلى، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2009م.

5- الطاهر مكي:
- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، 1977م.

6- عبد الحليم عويس:
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، منشورات مركز الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988م.

7- عبد المجيد التركي:
- مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية، بين ابن حزم والباجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

8- لطفي عبد البديع:
- الإسلام في إسبانيا، منشورات لجنة التأليف والترجمة، ط1، القاهرة، 1958م.

9- مبروك العوادي:
- ابن حزم الظاهري الأندلسي ونشأة المذهب الظاهري، مجلة الأصالة، العدد 25، الجزائر، 1975م.

10- محمد أبوزهرة:
- ابن حزم حياته وعصره - أرائه وفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004م.

11- محمد عبدالله عنان:
- دولة الإسلام في الأندلس " دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي " مكتبة الأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.

12- محمود إسماعيل عبدالرازق:
- ابن حزم ومدرسته جدل الفقه والتاريخ، الكويت، 1989م.

13- محمود علي حمايه:
- ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1983م.

- **ثالثاً: المجلات والدوريات:**

1- إبراهيم القادري بوتشيش:

- دور علماء المغرب والأندلس في تدعيم المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، مجلة الأحمدية، العدد العشرون، دبي، 2005م.

2- مبروك العوادي:

- ابن حزم الظاهري الأندلسي ونشأة المذهب الظاهري، مجلة الأصالة، العدد 25، الجزائر، 1975.

- **رابعاً: المراجع الأجنبية:**

1- Urvoy Dominique: lavie intellectually et spiritually dans les baler muscleman's Allandale's, 1972.